

## هويات ما بعد الحداثة في أفريقيا

أحمد مفتاح فلاق • وحسين أحمد الجرو •

## ملخص

تنتقل الدراسة التي قامت عليها الورقة من سؤال يناقش دور هويات ما بعد الحداثة في إعادة بناء الدولة الحديثة في أفريقيا، وبالتالي تقترض أن هناك محددات لهذه الهوية تقتصر في القبيلة والعرقية والجهوية والإقليمية، وعندما كان لهذه المحددات دور في بناء الدولة الحديثة في أفريقيا، وجب إعادة تفسيرها، بعدما وقفت على تحديد ماهية كل من: الهوية وما بعد الحداثة. كما وقفت الورقة على دور هويات ما بعد الحداثة وسياسات الهوية في بناء الدولة الإفريقية، لكي ترسم رؤية استشرافية لهويات ما بعد الحداثة في إفريقيا، وبالتالي وصلت إلى التوصيات التالية:

- ضرورة إعادة النظر في كيفية بناء الدولة في إفريقيا في ظل المتغيرات الراهنة التي حدثت في العالم بعد افول الأحادية القطبية.
- ضرورة معالجة الترتيبات الدستورية، كما الاهتمام بالوسائل الإعلامية لخلق التجانس الاجتماعي لبناء الدولة الحديثة في إفريقيا.

**الكلمات الدالة:** الدولة الحديثة في إفريقيا، الهوية، سياسات الهوية، الهوية الثقافية، القبيلة، العرقية، الإقليمية والجهوية.

## 1- مقدمة

برز دور الهوية الثقافية في التعبير عن الحاجة والاعتراف والقبول بالآخر، فإفريقيا تعاني من استثناء غياب ثقافة الآخر، وهي ظاهرة مسيطرة على المشهد السياسي والثقافي والاجتماعي في مجتمعات أصلاً مثقلة بأعباء اقتصادية وهموم تنموية وفوارق اجتماعية، وظهور صراعات ونزاعات تعود مكاسبها على فئات وأعراق معينة، وهذه النزاعات ترجعها إلى اختلافات الهوية، وذلك حسب افتراض يزعم أن الهوية الثقافية تقابلها بالضرورة هوية سياسية لا تخلو أيضاً في الواقع من طابعها الوهمي، والحق إن كلتا الهويتين تكون في أحسن الحالات بناء ثقافياً أو سياسياً أو أيديولوجياً أي بناء تاريخياً أصلاً، فلا توجد هوية تفرضها الأوضاع.

وبالتالي فإن الورقة تهدف إلى معالجة بعض الأطروحات الفكرية لهويات ما بعد الحداثة في إفريقيا في ظل المتغيرات الراهنة التي انتظمت العالم المعاصر ورمت بظلالها على الواقع السياسي والثقافي والاجتماعي في إفريقيا، وتحليل الأطر النظرية لهويات ما بعد الحداثة، مثل: العرقية والقبلية والإقليمية، ومعرفة حدودها إذا ما كانت مؤهلة لبناء الدولة

للهوية عدة معان يدركها الإنسان منها: انها المبادئ الأصيلة السامية والذاتية النابعة من الأفراد أو الشعوب، وتلك ركائز الإنسان التي تمثل كيانه الشخصي والروحي والمادي داخل الكيان، ولإثبات هوية أي شخصية الفرد أو المجتمع أو الشعب يجب أن يحس ويشعر كل فرد بانتمائه لما يميزه ويخصه عن باقي المجتمعات. كما أن الهوية هي تلك الصفة الثابتة والذات التي لا تتبدل ولا تتأثر، أو تسمح لغيرها من الهويات أن تصبح مكوناتها، فالهويات قائمة ما دامت الذات قائمة. كما يرى علماء الاجتماع السياسي أن للهوية بعد سياسي ولد ضمن عملية الصراع، فالعلاقات المعقدة بين التصورات الثقافية والممارسة السياسية والأساليب الشعبية في الحراك السياسي هي سبب النزاعات، وهذا ما ينطبق على الصراعات في إفريقيا.

كما أن بروز هويات ما بعد الحداثة في القارة الإفريقية، أخرج إلى العلن الإثنية والعرقية، سياسياً وثقافياً واجتماعياً كظاهرة ثقافية غير ظرفية عابرة لحدود الزمان والمكان ونجدها واضحة في أي بلد إفريقي تتنازع الصراعات والنزاعات.

المعرفة، إن اتفاق جماعة من الباحثين على أسس ومعايير محددة في دراسة الظواهر والمتغيرات السياسية يؤدي من ناحية إلى بروز باراداييم أو إطار فكري عام متميز، ويؤدي من ناحية أخرى إلى بروز آراء أخرى مخالفة تشكل بدورها إطاراً فكرياً عاماً (خشيم، 1996).

#### • ما بعد الحادثة:

ما بعد الحادثة مصطلح معقد أو جملة من الأفكار لم تظهر كمجال للدراسة إلا بعد ظهور المدرسة السلوكية، غير أنه وجوده داخل النسق السياسي ظهرت بقوة في ظل المتغيرات الدولية وظهور النظام العالمي الجديد، مما أدى إلى الاعتراف بحق الجماعات العرقية والإقليمية والقبلية والقبائل، فما بعد الحادثة هي تكوينات ثقافية أي هي ما يعبر عن بنية اجتماعية أو جملة من المواقف الاجتماعية.

تشير المداخل المابعدية عموماً إلى عدة مداخل جديدة تدعو إلى التجديد، وضرورة تماشي مناهج ومداخل البحث مع تغير الظروف البيئية المحيطة، التي يشهدها العالم المعاصر في ظل الثورة التكنولوجية المعاصرة، إن عجز المداخل السائدة عن شرح الظواهر السياسية لسبب أو لآخر، دفع الباحثين إلى تطوير الأسس والمبادئ التي تقوم عليها بعض المداخل، لكي تواكب التغيير في الظروف البيئية المحيطة، ويمكن تحديد عدة مداخل فكرية ما بعدية، نذكر منها على سبيل المثال، المدخل ما بعد الماركسي، ما بعد البنيوي، ما بعد الموضوعي، ما بعد الحادثة (عبد الله، 1990).

وتعتبر المدرسة المابعدية بمثابة ثورة علمية تجديدية معاصرة في علم السياسة، علماً بأن علم السياسة شهد ثورة مماثلة عندما ظهرت المدرسة السلوكية، ويهدف رواد المدرسة المابعدية إلى خلق رؤية لصناعة علم سياسة جديد يدعو إلى عدم التطرف في دراسة الظواهر السياسية.

#### • الهوية:

لا بد أن نذكر في البداية أن للهوية عند كثير من الباحثين والدارسين مفهومين أحدهما قانوني والثاني ثقافي وتاريخي، الهوية بالمفهوم القانوني تعني الانتماء الرسمي للدولة التي يقيم

المعاصرة في إفريقيا، ويتم الاعتراف بها كما فعلت إثيوبيا عبر الترتيب الدستورية، أم هي سبب كل النزاعات الإفريقية.

كما تأتي أهمية الورقة من دراسة المتغيرات الزاهنة على الواقع الإفريقي، ودور هويات ما بعد الحادثة بعد نهاية الحرب الباردة، وظهور الأحادية القطبية بمفاهيم جديدة، منها: الاعتراف بحقوق العرقيات والإثنيات والأقليات والقبائل، ولها حق المطالبة بحق تقرير المصير، وقد أظهرت الدولة الإفريقية كمؤسسة سياسية تتطاحن عندها النزاعات المتطلعة إلى الانفصال وتعني الانسحاب، بسبب عدم التوافق في العرق أو اختلاف في اللغة أو تباين في الهوية؛ مما جعل الدول الإفريقية في تحدي مع صراعات داخلية عنيدة على السيطرة والإدارة، وتحولت ساحاتها إلى حروب بالوكالة، وضعفت وعود الحادثة في العقل الجمعي الإفريقي كمشروع ليبرالي عقلاني يطمح في إزالة التمايز العرقي والإثني، ثم جاءت مرحلة ما بعد الحادثة لتكشف عجز الوعد الليبرالي في بناء السلام ومنع الحرب والاحتراب في الدولة الإفريقية. وتناقش الورقة المحاور الآتية:

- المداخل النظرية عن المفاهيم (الهوية، ما بعد الحادثة).
- البناء الفكري لهويات ما بعد الحادثة (القبلية، العرقية، الإقليمية والجهوية).
- دور هويات ما بعد الحادثة في النزاعات الإفريقية.
- سياسات الهوية وإشكاليات بناء الدولة في إفريقيا.
- رؤية استشرافية لهويات ما بعد الحادثة في إفريقيا.

#### أولاً: المداخل النظرية عن المفاهيم:

المداخل في أوسع معانيها هي عبارة عن طريق محددة ذات طابع نظري، وبالطبع أهمية تأسيس إطار نظري منهجي ومعرفي يعد بمثابة تقليد بحثي أو طريقة في التفكير والتحليل، وليس بخاف أن النموذج المعرفي هو الذي يحدد نطاق المشكلات البحثية وتحديد مناهج تناول المقبول لدراسة المشكلات، ويمكن الإشارة إلى المقاربات التي حرصت على تفسير ودراسة هويات ما بعد الحادثة كإطار فكري أو الباراداييم. والمقصود بالباراداييم هو حالة الاتفاق أو الإجماع التي يصل إليها مجموعة من الباحثين في مجال معين من مجالات

نفسها من خلال تراكمات الماضي، وبدت المجموعات الموزعة مثل القبائل العالمية مهيأة للنجاح في إطار المنظار الاقتصادي العالمي الواسع الأكثر تكاملاً، ولتعريف القبلية العالمية سعينا إلى تفحص مجموعات رئيسية، رغم أن كلاً من هذه القبائل تمتلك تاريخاً مختلفاً اختلافاً شديداً فإنها تتقاسم المميزات الثلاثة المهمة التالية:

1. هوية عرقية قوية وإحساس بالاعتماد المتبادل الذي يساعد المجموعة على التأقلم مع المتغيرات في النظام العالمي الاقتصادي والسياسي دون أن تفقد وحدة نسيجها.
2. شبكة عالمية تركز على الثقة المتبادلة التي تتيح للقبيلة أداء عملها بصورة جماعية تتجاوز قيود الحدود القومية أو الإقليمية.
3. الرغبة في الحصول على المعرفة الفنية وغيرها من جميع المصادر المتاحة مع توفر انفتاح أساسي يعزز التطور الثقافي العلمي السريع، والمهم لتحقيق النجاح في الاقتصاديات العالمية لأواخر القرن العشرين (جويل، 1995)، أما القبيلة بمعنى اعتقاد مجموعات من القبائل في انتمائها إلى نسق اجتماعي ورابطة في زمن كثر فيه التعليم وارتفع الانتماء إلى الوطن.

#### • العرقية:

العرقية في تعريف مبسط هي إظهار كينونة الذات من خلال الجماعة الصغيرة في المجموعة أنها شعور بالانتماء لجماعة متجانسة فوق شعور الشخص بالانتماء لأسرته، وهذه الجماعة يفترض في عموم أحوالها أن تشترك في التاريخ نفسه، وفي اللغة نفسها، وفي الدين نفسه، وتم اتفاق عام بين العلماء في مجال العلوم السياسية بأن الصراعات والمشاحنات العرقية شأنها شأن الفقر والتخلف تسبب مشاكل خطيرة تهدد استقرار الدول النامية والدول المتقدمة على حد سواء (بشير، 2005 ب).

العرق لغة هو أصل كل شيء، وكل مصطف من طير وخيل ونحو ذلك، ومن معانيه كذلك الجبل الغليظ الذي لا يرتقي لصعوبته (المعجم الوسيط، 1985)، أما التعريف الاصطلاحي للعرقية فإنه ينصرف إلى مجموعة من البشر

فيها الفرد وتؤكد هذه الهوية الوثيقة الرسمية التي تسمى جواز سفر.

أما الهوية بالمعنى التاريخي والثقافي فإنها تعني الانتماء للأرض والوطن نتيجة للإرادة الوطنية والخيار الحر، ويعني هذا أن الهوية واحدة لجماعة تعيش على أرض لها حدود واحدة وتخضع لنظام واحد وقانون واحد (بشير، 2005 أ).

#### ثانياً: البناء الفكري لهويات ما بعد الحداثة:

##### • القبيلة:

القبيلة هي رابطة اجتماعية سيكولوجية شعورية ولاشعورية معاً، تربط أفراد وجماعة قائمة على القرابة رباطاً مستمراً، القبيلة هي وحدة اجتماعية كونت شعب برباط الدم والمصاهرة والعادات وتشترك في القواسم الثقافية والإرادة الجماعية والانتماء الاثني في عقد اجتماعي يخلق واقعاً معقداً بسبب قصور الوعي الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والسياسي، عليه يمكن القول إن الأساس الذي تقوم عليه القبيلة إنما هو رابطة القرابة، لكن على الرغم من رابطة القرابة الدموية والتجذر السلافي من جد مشترك يعتبر هما الأساس في الانتماء إلى قبيلة واحدة، إلا أن ذلك لا يمنع أفراداً آخرين أن ينضموا للقبيلة وهم ليسوا أصلاً منها؛ ذلك ما تقتضي الظروف من استعاضة عن ذلك بعلاقة الحلف والتعاقد والتعايش.

إن القبيلة توجد طالما وجد عنصر بشري متعدد السحنات والألسن، رغم التفاؤل بأن يشهد المستقبل انتصاراً عالمياً عاقلاً وشاملاً، فإنه يتجه نحو الأفول وسط اهتمام متزايد بنفوذ السلالات والأعراف والديانات بدلاً من الولوج إلى عصر الشمولية أو نهاية التاريخ الذي طال توقعه، فما نحن نشهد تجديد السعي لذاكرة الماضي العرقي تحديداً، وهو السعي الذي سترسم نتائجه شكل المستقبل القريب، وكما قال عالم الاجتماع (هارولد ازاكس) "إن العلم تقدم، والمعرفة نمت، والطبيعة أصبحت قيد السيطرة، ولكن العقل لم يحقق النصر والقبلية لم تتبدد" (جويل، 1995).

إن انهيار الإيديولوجيات وانتهاء الحرب الباردة أدى إلى تعزيز إمكانيات القبائل بأن تقوم بدور أساسي في السلم والأمن، فالعالم الآن يشهد تلاشي العقائدية، وبدأت الشعوب في تعريف

الاجتماعي والثقافي والاشتراكي في الأصل العرقي، وخصائص الجماعة تقوى كثيراً أصرة الانتماء للجماعة، فإن كان الإقليم ذا خصائص جغرافية معينة ممتزجة بخصائص الجماعة القاطنة فيه وتشكل جزئياً سماتهم وسلوكهم ونمط علاقاتهم بالآخرين، فإن الانتماء العرقي يتأطر "إقليمياً" وهنا تظهر الإقليمية (Regionalism) صنو الانتماء العرقي هوية الجماعة واتجاهاتها السلوكية وعلاقاتها بالآخرين (الجابر، 1992).

#### • الإقليمية والجهوية:

في ظل المتغيرات والتحولات المجتمعية العميقة في إفريقيا ظهرت الإقليمية أو الجهوية، وهو توصيف جغرافي ينمي الإحساس والتمايزات الإقليمية وهي تشكل مجموعة لها انتماءات جهوية وإقليمية، تبحث عن تأسيس التعاون والمساواة والعدالة، وكان يمكن الاستفادة منها في الواقع الإفريقي عبر ميكانيزم التنشئة الاجتماعية وصياغة دورها الإيجابي في مسألة التجانس القومي أو بناء الأمة.

إن الجهوية الجديدة الآن هي دعاوى المركز والأطراف أو المركز الهامش، وهي دعاوى لها أبعاد اجتماعية واقتصادية وسياسية، لقد انصبت العدوى الجهوية على محاولة إبراز الاختلال في مسألة التمثيل السياسي، كما ترتبط الجهوية بمسألة الهوية الوطنية بمعنى أنها ترتبط بعنصرين مهيمنين هما الانتماء والمواطنة، الانتماء إلى وطن واحد لا فرق فيه بين جهة جغرافية أخرى (حاوي، بدون).

إذا كانت الإقليمية والجهوية ذات جذور تاريخية عميقة في الواقع الإفريقي ولها دور عبر التاريخ الإفريقي في بناء الدولة الإفريقية، وبدأت تظهر القومية الإفريقية وعبرت عن الوعي القومي من خلال الحركات التي واجهت المستعمر وشعور الجميع بالحاجة إلى ما يجمع الأفارقة من أجل الاستقلال.

ولابد لنا من التأكيد على أنه وفي ضوء التنوع الإثني لتكوين شعوب معظم البلدان، فإن ضمان استقرار وتطور استقلال هذه البلدان يعتمد بصورة أساسية على حل المسائل القومية فيها، كإزالة الامتيازات القومية في الدولة الواحدة - لهذا فإن حل هذه المسائل - لا يتم إلا على أساسها الاقتصادي والاجتماعي

الذين يشتركون في عدد من الصفات الجسمانية أو الفيزيائية على افتراض أنهم يمتلكون مورثات جينية واحدة، وهي بذلك مجرد مصطلح يبين الاختلافات بين السلالات التي يقسم إليها الإنسان، في حين أن مفهوم العرقية (العنصرية) يشير إلى الاعتقاد بأن هناك صلة أو رابطة بين الصفات الجسمانية والثقافية (عاشور، 2005).

إن العرقية في عصر ما بعد الحرب الباردة أصبح لها دور في السياسة الدولية، واهتمت المنظمات الإقليمية والدولية بحقوق الأقليات وبالتالي هو اعتراف ضماني بالعرقيات، إن العرقية يجب الاعتراف بها لمواجهة التحديات التي تواجه بناء الدولة في إفريقيا في ظل استقطاب دولي، وطموح صفوي لأبناء القبائل في السلطة والثروة، بعد ما عجزت الحكومات في تحقيق التداول السلمي للسلطة، وأصبحت ظاهرة العرقية متفشية في القارة الإفريقية مما يجعل احتواء العرقيات قبل أن تنفجر واستيعاب العرقيات في منظومة الحكم؛ لأنها تؤدي إلى النزاعات.

العرقية والولاء للجماعات العرقية - على أي حال - في تزايد مستمر في ظل المتغيرات الدولية والإقليمية التي انتظمت العالم وتظهر بصورة أشد في أوقات التغيير السياسي والاقتصادي والاجتماعي أو أوقات الأزمات، حتى العقل الجمعي الصفوي في المجتمعات الإفريقية يعلنون عن أنفسهم بانتماءاتهم القومية ولكن تظهر بصورة غير معلنة الانتماء الكامل لجماعة محددة عرقية. لعل الخطأ الذي تردى فيه الكثيرون هو اعتقادهم بأن العرق مفهوم بيولوجي بحت، فهم يركزون على الصفات الجسمانية وفق معايير وصفية وقياسية معينة.

أما علماء الانثروبولوجيا فإنهم يؤكدون على الجانب الاجتماعي وجانب التفاعل الثقافي والاجتماعي في مفهوم العرق، فالاشتراكي في اللغة والتساكن والآمال والمصالح والوحدات هي أساس الانتماء العرقي (Ethnic Lelenification) ويقيني أن المكون السلالي أو البيولوجي يمثل وحدة اجتماعية أساسية في تكوين المجتمعات ذات أهمية خاصة، فإن الانسجام والتماسك والتعايش والتناصر إنما ينبعث من الإحساس السلالي العرقي، لكن رغم أن عوامل التساكن في إقليم واحد والتعامل

وقبائل لا تتشارك مع غيرها في القيم الاجتماعية، وظهرت أقليات في أحيان عديدة، وأصبحت فيما بعد مكامن للنزاعات والصراعات في الواقع الإفريقي الجديد.

تتعدد مصادر النزاعات في القارة الإفريقية بتعدد الأديان وتنوع الثقافات والإثنيات في القارة الإفريقية، العرقية لها دور في النزاعات والإقليمية لها يد في الصراعات والجهوية لها بعد في الاحتراب وكلها تشكل هويات ما بعد الحداثة.

#### رابعاً: سياسات الهوية وإشكالية بناء الدولة في إفريقيا:

عبارة عن مجموعة من الحجج السياسية التي تركز على المصلحة الذاتية ووجهات النظر الخاصة بالمجموعات المصلحية الاجتماعية المحددة ذاتياً والوسائل التي يمكن عن طريقها تشكيل سياسات الشعوب بواسطة مظاهر هويتهم التي يتم تحديدها عن طريق العرق أو الطبقة أو الجنس أو الإثنية أو الإيديولوجية أو الولاية أو المهن وليس بالضرورة مشاركة كافة الأعضاء من أي مجموعة معينة في سياسات الهوية.

يعد تأثير الأقلية أحد المكونات الرئيسية لسياسات الهوية، فتأثير الأقلية هو شكل من أشكال التأثير الاجتماعي، ومن أهداف سياسات الهوية تمكين أولئك الذين يشعرون بالاضطهاد من التعبير عن شعورهم بالاضطهاد، وهذا بناء على خبرتهم الخاصة في عملية إثارة الوعي التي تميز سياسات الهوية عن المفهوم الليبرالي للسياسات الأساسية للمجتمعات الليبرالية الديمقراطية التي يتم بها الاعتراف بحقوق الإنسان (معجم المصطلحات السياسية والاستراتيجية).

تتسم البيئة الراهنة بالإحباط الناجم عن تراجع الشعارات الكبيرة والفكرية والسياسية المبنية على الاستقلال والسيادة، حيث تتآكل يوماً بعد يوم في ظل النظام الأحادي القطبية، وتبددت كل وعود الحداثة كمشروع ليبرالي عقلائي يطمح في إزالة الفروق العرقية وتمثيل نموذج تمثله أمريكا وأوروبا في تجسيد تام لقيمهم الفلسفية غير أن مرحلة ما بعد الحداثة جاءت لتكشف عجز الوعد الليبرالي في تحقيق العدالة والحرية وتقنع الكل أمام الحقيقة القائمة التي لا تستطيع العقلانية الأوروبية معها منع الحروب والكوارث الاقتصادية والأخلاقية وكل هذا إخفاقاً لكل وعود الحداثة (الحسن، 2009).

والسياسي والثقافي وعندما يكون في صالح الأغلبية الساحقة (برقاوي 1982).

#### ثالثاً: دور هويات ما بعد الحداثة في النزاعات الإفريقية:

القارة الإفريقية ليست الوحيدة في ابتلائها بآفة النزاعات، بل في قلب أوروبا بكل ما بها من تطور تقني وثقافة متجذرة بالاعتراف بالآخر والقبول به اندلعت حرب البلقان ومجازرها مثلما حدث في بحيرات الدم الكبرى في إفريقيا "رواندا"، وبورندي "بروز هويات ما بعد الحداثة مثل العرقية القبالية والإقليمية لجذور الصراع. إن الظاهرة الجديدة التي شاعت في النزاعات الإفريقية هي ما يمكن أن نطلق عليه الحروب الداخلية، إن النزاعات الإفريقية الراهنة هي ذات طابع داخلي أكثر مما هو بيني أو إقليمي أو عالمي، ولا يمكن أن نطلق عليها الحروب الأهلية، بل هي أقرب إلى قتال ونزاع عنيف بين جماعات وسلطات داخل حدود إقليمية لدولة واحدة حينما برزت هويات ما بعد الحداثة في علاقة متأزمة ما بين المركز والهوامش.

الدولة لم تعد في مواجهة خطر الحروب على حدودها، بسبب عولمة الاقتصاد وفضل الشركات المتجاوزة للوطنيات، إلا أنها صارت في مواجهة خطر أشد، التوترات الداخلية يليها بروز العامل الاجتماعي والبحث عن هويات نمط الدولة الوطنية، فيدرالية كانت أم اندماجية، قام على استبعاد العوامل العرقية، والدينية والثقافية مؤسساً على عوامل لا مكان فيها لهوية اجتماعية ثقافية عرقية (بودبوس، 2008).

إن أسباب النزاعات الإفريقية ذات جذور تاريخية وأخرى لها صلة بحقيقة البناء الاجتماعي والعرق والقبلي والإثني، أي هي مشكلة الدولة الإفريقية، وهي مشكلة ذات أبعاد سياسية واجتماعية واقتصادية وإدارية، فإن النزاعات الإفريقية البيئية إنها ذات صلة بهويات ما بعد الحداثة، مثل: القبالية والعرقية منذ مؤتمر برلين لتقسيم حدود المستعمرات في إفريقيا، لأنها اهتمت بالجغرافيا السياسية ولم تهتم بالبعد الثقافي والاجتماعي مما قسم العرقيات بين الدول والقبائل ما بين الأوطان، وتجاهل مؤتمر برلين الحقائق الاجتماعية والإقليمية، ووجدت الدولة الإفريقية نفسها بسطت نفوذها على أعراق وجماعات وأقاليم

أجل إعادة بناء الدولة في مجتمع تعددي، وإعادة البناء له جوانب مختلفة من الاقتصاد والاجتماع والثقافة، وهي أبعاد تشكل بنية النسق الاجتماعي، إن إعادة بناء الدولة في إفريقيا عبر التداول السلمي للسلطة وتعزيز قيم الديمقراطية في الفضاء الإفريقي وتأسيس معايير الحوكمة والحكم الرشيد وتفعيل دور منظمات المجتمع المدني وضرورة بناء وخلق المؤسسات الحديثة وكل ما يعنيه من انعكاس على مبادئ المواطنة وقضايا الاندماج الوطني. والاهتمام بالتنمية السياسية باعتبارها عملية ضرورة لبناء الدولة.

إن الاهتمام بالحكم الرشيد كأساس لإعادة بناء الدولة الإفريقية المعاصرة هو نتاج منظومة من القيم السياسية، مثل: العدالة المؤسسية، وسيادة حكم القانون، والنزاهة والمشروعية، والشفافية والمحاسبة، والتنمية والاستقرار، وهي تعتبر سمات للحكم الرشيد.

أهمية سيادة معايير الحكم الرشيد لكي لا تكون شعارات ترفع أو أدبيات تكتب أو تفرد لها الصفحات في متن الدستور، بل تكون ثقافة حاكمة في ظل تحول ديمقراطي حقيقي مع مقارنة سمات الحكم الرشيد بالواقع الثقافي الاجتماعي الإفريقي من أجل إعادة بناء الدولة المعاصرة في إفريقيا عبر الاعتراف بهويات ما بعد الحداثة عبر الأطر القانونية.

#### خامساً: رؤية استشرافية لهويات ما بعد الحداثة في إفريقيا:

هويات ما بعد الحداثة فرضت أمراً واقعاً جديداً وبرزت مفاهيم جديدة مثل حقوق الإنسان والمساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات على أساس المواطنة، في ظل المتغيرات الراهنة من أجل بناء الدولة الإفريقية لابد أن تنتقل المجتمعات المحلية إلى بناء المؤسسات الحديثة وتنمية الوعي القومي للأفراد.

لقد اصطدمت محاولات بناء الدولة في التجربة الإفريقية بالرواسي أو القواعد للبناء الاجتماعي الإفريقي، وسرعان ما اتضح أن القيادات الإفريقية لم تكن قادرة على ترجمة تصوراتها في إمكانية الانتقال من قيادة حركات تحرر ثورية وكفاحية إلى قيادة حكم وحكومات، بل احتضنتها قوى اجتماعية عرقية أو قبلية أو إقليمية، وعضواً عن أن تستمد الشرعية والدعم من

بناء الدولة الإفريقية عبر سياسات الهوية يتم بدراسة الواقع الثقافي والاجتماعي الإفريقي في نسق هويات ما بعد الحداثة باعتبارها نشأت في البيئة الإفريقية، وتعتبر مرجعات أصولية في بناء الدولة المعاصرة، لكي ما تكون الدولة تحقق قدراً من التجانس الاجتماعي، ويتحقق التكامل القومي في الدولة الإفريقية المعاصرة وتظل المطالب المتعلقة بقضية الهوية تركز على اللغة والدين والزعامة التقليدية، أدى إلى عجز الدولة في تحقيق وحدة وطنية فعالة لأن كثيراً من المواطنين تسيطر عليهم انتماءات فرعية وتجمعات قومية ودلالات قبلية.

بعبارة أخرى تحدث أزمة الهوية عندما لا يكون بمقدور الدولة أن تؤدي وظائفها المناط بها كما يجب باعتبارها دولة - أمة (Nation State) مدعومة بالمعنى الكامل لمفهوم المواطنة، فبقدر ما لا تتمتع بدعم السكان لها فلا يمكنها بالتالي إضفاء معنى المواطنة الكاملة على من يليها من الناس، وستكون مثل هذه الصفة - أي المواطنة - في إطار أزمة الهوية موضوعاً للجدل والصراع بين الجماعات (عبد الجليل، 2005).

البعد التاريخي لتكوين المجتمعات الإفريقية عرفت بالتعددية ولم تتل الاهتمام بها في السياق المعرفي الإفريقي ولا في دراسة تاريخ المجتمعات ولا تعترف بالأزمة الحقيقية، ومناهج التعليم في الدولة الإفريقية لم تواكب الدراسة العلمية بالطرق المنهجية والعلمية، بل تجاهلوا تاريخ المجموعات وتاريخ الطوائف والانثروبولوجية ولم يهتموا بإدارة التنوع العرقي والتعدد اللغوي والديني.

إن التعدد الإثني داخل الجماعة الوطنية الواحدة لا بد أن يثير مشكلة الخصوصية أو الهوية إزاء الغير، فوجود الجماعات الإثنية أغلبية كانت أم أقلية بثقافات وقيمها قد يؤدي إلى التناقض والصراع، هنا تكون الدولة أمام تحدي يتعلق بتكوين شعور مشترك بين أفراد المجتمع الواحد (حامد، 2012).

على الدولة المعاصرة في إفريقيا أن تتجهج سياسات استيعابية واندماجية ليتحقق التكامل القومي، لأن عدم التجانس في مكونات الهوية يؤدي إلى الصراع في كثير من البلدان الإفريقية والاعتراف بالهويات فرصة سانحة للتجانس القومي والاندماج الوطني عبر مكونات الهوية، مثل: اللغة والدين والعراف، من

هويات ما بعد الحداثة في العقل الجمعي الإفريقي غدتها ثقافة عشائرية متجذرة عن النخب والعامّة مما يتطلب رؤية موضوعية لها عبر التراتيب الدستورية والاهتمام بالوسائط الإعلامية لخلق التجانس الاجتماعي لبناء الدولة الحديثة في إفريقيا.

### قائمة المراجع

- 1- مصطفى عبد الله خشيم، مناهج وأساليب البحث السياسي، بنغازي: دار الكتب الوطنية، 1996، ص56.
- 2- عبد الخالق عبد الله، الاتجاهات الجديدة المستقبلية في علم السياسة، بيروت: مجلة المستقبل العربي، 1990، ص31.
- 3- محمد عمر بشير، مشروع الدولة السودانية الديمقراطية، قضايا وإشكالية البناء الوطني، أم درمان: جامعة أم درمان الأهلية، 2005، ص12 - 13.
- 4- جويل كوتن: القبائل دور العرف والدين والهوية في نجاح الاقتصاد العالمي، ترجمة: مازن حماد، مراجعة: هارون جرار، عمان: دار البشر للتوزيع والنشر، 1995، ص13.
- 5- جويل كوتن، مرجع سابق، ص14-15.
- 6- محمد عمر بشير، العرقية والإقليمية والتمازج القومي في السودان، أم درمان: جامعة أم درمان الأهلية، 2005، ص3.
- 7- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط2، ج2، بتاريخ 1985.
- 8- محمد مهدي عاشور، التعددية الإثنية إدارة الصراعات والاستراتيجية التسوية، المركز العلمي للدراسات السياسية، عمان، الأردن، بتاريخ 2005، ص85.
- 9- محمد عابد الجابر، العقل السياسي العربي، محدداته وتجلياته، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بتاريخ سبتمبر 1992، ص79.
- 10- حمد عمر حاوي، القبلية ومستقبل السياسة في السودان، ورقة غير منشورة ص10.

كونها قيادة دولة وحكومة تبنّت مشروعاً عرقياً أو قبلياً (نعمة، 2005).

الفضاء الإفريقي تتعدد فيه الثقافات وتتنوع الأعراق وتتلاقح الثقافة من عربية وغربية وإسلامية ومسيحية وأخرى إفريقية، وكذلك الهويات ويمكن أن يكون هذا مصدر حوار وتلاقح أفكار، ولا تنكر أن هناك مساحة للتباين والاختلاف لكنها تتفق نحو التعاون والتعارف.

الأفارقة اليوم محتاجين إلى نمط الدولة الوطنية واستبعاد العوامل العرقية والثقافية في بناء الدولة المعاصرة الوطنية التي تستند على قوى الرأس مالية وتجاوز عوامل العرق والإثنيات لصالح الوطن الذي يربط المكونات الاجتماعية عبر الوسائط الإعلامية ومؤسسات المجتمع المدني بالتنشئة السياسية وتعزيز قيم الوحدة بين المكونات الاجتماعية في الدولة الإفريقية وبناء السلام والتداول السلمي للسلطة.

مستقبل هويات ما بعد الحداثة تتعامل معها كواقع معاش عبر الأطر القانونية والاجتماعية والثقافية وخلق دولة معاصرة بشكل قد يسفر في نهاية المطاف إلى خلق هوية سياسية إقليمية تعلق على الولاءات التحتية وعبر الدستور تتم إدارة هويات ما بعد الحداثة ليحفظ للدولة الإفريقية وجودها ووحدتها.

### الخاتمة

بناء الدولة الإفريقية في ظل المتغيرات الراهنة التي انتظمت العالم ما بعد الأحادية القطبية يتطلب تقديم رؤية ومعايير ما يجب أن يتعاقد عليه الشعب والفواعل غير الدول من جهة والحكومة من جهة أخرى في تأكيد الهوية ودورها في عملية التحديث السياسي والتنمية السياسية، وفك الارتباط بين مؤسسة الدولة ككيان سياسي مقدس وبين الحكومة كنتاج لتفاعلات قوى سياسية.

الدولة الإفريقية في العالم المعاصر تتجه نحو التحول الديمقراطي واحترام حقوق الإنسان والاهتمام بهويات ما بعد الحداثة والاعتراف بمكونات الهوية، مثل: اللغة والدين والثقافة، مما يجعل من إفريقيا وحدة حضارية بالاعتراف بالتنوع والتعدد داخل الوحدة السياسية.

- 11- حمزة برقواوي: قراءات في القومية، دمشق، دار الخليل، 1982، ص 8-9.
- 12- رجب بودبوس، ماضي المستقبل صراع الهوية والوطنية في عالم يتعولم، مجلس الثقافة للعلوم، ط1، 2008، ص7.
- 13- معجم المصطلحات السياسية والاستراتيجية.
- 14- فتحي محمد الحسن، عن القبلية والعرقية والأصولية، جريدة الأخبار السودانية، بتاريخ الأحد 31 مايو 2009، ص5.
- 15- رعد عبد الجليل علي، التنمية السياسية مدخل للتغيير، طرابلس: الجامعة ، 2005، ص121.
- 16- صديق حامد، دور القوانين الانتخابية في الإدارة السلمية التعدد الإثنية، الناشر دار المعارف، الإسكندرية بتاريخ 2012، ص89.
- 17- كاظم هاشم نعمة، إفريقيا في السياسة الدولية، طرابلس أكاديمية الدراسات العليا، 2005، ص95.